

المحاضرة الحادية عشر: بعض النماذج عن العلاجات الأسرية والنسقية لفهم الدينامية الأسرية المرتبطة بالتلميذ:

❖ المدرسة البنائية:

المفاهيم النظرية للعلاج الأسري البنائي:

بنية الأسرة: يؤكد العلاج الأسري البنائي على دور السياق في الحفاظ على المشكلات الفردية وحلها، وهو علاج فريد من حيث تنظيم الأسرة والدور الفعال للمعالج كعامل للتغيير.

يقول مينوشين وفيشمان (1981) الأسرة هي مجموعة طبيعية تطور نماذج للتفاعل مع مرور الوقت، وتشكل هذه النماذج بناء الأسرة الفريد يحكم عمل أفرادها ويحدد نطاق سلوكياتهم ويسهل تفاعلهم.

- يهتم المعالجون الأسريون البنائيون بالمشاكل الحالية بدلاً من التركيز على تاريخ المشكلة.
- عندما تنضم الأسرة إلى العلاج يقوم المعالج البنائي الأسري بتقييم كيفية تنظيم الأسرة لنفسها فيما يتعلق بحل المشكلة، وهل يوجد نمط قيادة فعال في التعامل مع هذه المشكلة؟، هل يتحدث الأفراد مباشرة مع بعضهم البعض، وهل يشارك آخرون بشكل غير ملائم كوسطاء؟ هل تمت المحافظة على المشكلات لأن بعض أفراد الأسرة في تحالف سري ضد أفراد الأسرة الآخرين؟ وهل الأسرة مرنة بما فيه الكفاية بحيث يمكن لأفراد الأسرة تغيير تنظيمهم لحل المشكلة، أم هل يحاولون حلها ببناء قديم؟

كفاءة الأسرة: لا توجد مشاكل بسبب خلل وظيفي في الأسرة ولكن بسبب عدم قدرة الأسرة على الوصول إلى البناء العملي لحل المشكلة يقول Minuchin: عندما تأتي الأسر للحصول على المساعدة أفترض أن لديهم مشاكل ليس لأن هناك خطأ حدث معهم، ولكن لأنهم تعثروا عندما تمسكوا ببناء مر وقته، ووفقاً لهذه النظرية فإن جميع الأسر لديها القدرة على حل مشكلاتها، والقدرة على الوصول إلى البناءات المناسبة عادة ما تكون موجودة في جعبتهم، وتتمثل مهمة المعالج في إقناع الأسر في البحث عن بدائل موجودة لديهم بالفعل. كما يقوم المعالج الأسري البنائي بدعوة أفراد الأسرة إلى تبني أنماط وظيفية تخلق التوازن الضروري بين الانتماء والاستقلال الذاتي الذي يريدونه، وهذا يقع على عاتق الأسرية لتحسين الديناميكية الخاصة بها.

الحدود: نظر (1974) Minuchin إلى الأسرة وأنظمتها الفرعية على أنها مقيدة بالحدود، والحدود هي "القواعد التي تحدد من يشارك في النسق وكيف، ووظيفتها هي "حماية تمايز النسق".

تقييم الحدود مهم للغاية لفهم التفاعل بين النسق الأسري والأنساق الأكبر، والتفاعل بين الانساق الفرعية داخل النسق الأسري بما في ذلك نسق الزوجين، وأخيراً يعتبر المعالج جزء لا يتجزأ من النسق، يمكن تصور الحدود كخط يحيط بأفراد أو أكثر من الأسرة ويميزهم عن الآخرين مما يتيح لهم تنظيم علاقاتهم بأنفسهم، على سبيل المثال قد ينخرط صبي في سلوك مزعج تحاول الأم إيقافه دون جدوى إلى أن يتدخل الأب في تعبير صارم ويوقف الصبي سلوكه التخريبي للوهلة الأولى. يبدو أن الأب يدعم زوجته، لكن من منظور بنائي هو يدخل منطقة تنتمي إلى الأم والابن مما يعوق تطور علاقتهما الخاصة.

الأنساق الفرعية: الأنساق الفرعية هي مجموعات من أفراد الأسرة محددة حسب الجنس أو الجيل أو المصالح المشتركة أو الوظائف، إنها تتداخل جزئياً: الزوج والزوجة من النظام الفرعي للزوج مهمته في تقديم الدعم المتبادل، كما أنه جزء من النظام الفرعي للوالدين، والذي يتضمن الأطفال ويتم تنظيمه حول قضايا التنشئة والإرشاد والانضباط، وداخل النظام الفرعي للأخوة يتعلم الأطفال تكوين صداقات، والتعامل مع الصراع، وتقديم الدعم وتلقيه.

الهرمية: يشير التسلسل الهرمي إلى الحدود التي تميز النسق الفرعي للقيادة عن بقية أنساق الأسرة، ويعتقد المعالجون البنائيون أن الدور القيادي للأسرة يجب أن يتولاها فرد أو مجموعة أفراد من الأسرة لحل مهمات معينة بنجاح، ويتمتع الأعضاء داخل التسلسل الهرمي للقيادة بسلطة أكبر في عملية صنع القرار مقارنة بباقي أفراد الأسرة.

ويشير مفهوم التسلسل الهرمي إلى التنظيم الرأسي للأسرة أي الفرق في القوة بين أفرادها، وفي الأسر الطبيعية يحتل الوالدان في البداية منصباً أعلى من الأطفال، ليس كسلطة تعسفية بل كمقدمين للرعاية والحماية والإرشاد، ومع نمو الأطفال وتناقص حاجتهم إلى القيادة الأبوية يجب أيضاً تقليل الفارق الهرمي بين الوالدين والأطفال. وغالباً ما ترتبط المشكلات السلوكية عند الأطفال بترتيبات هرمية مختلة، وتشمل التسلسلات الهرمية المستوية حيث يتمتع الأطفال بنفس القوة التي يتمتع بها الآباء؛ والتسلسل الهرمي العكسي حيث يكون الأطفال هم المسؤولون.

الائتلافات، التحالفات والمثلثات: يرتبط أفراد الأسرة ببعضهم البعض ويخلقون اتفاقيات وتحالفات يتم إظهارها من خلال إجراءات معينة تحكم أنماطها العلائقية والتفاعلية.

يعتقد المعالجون الآسريون البنائون أن التفاعل في الأسرة يدور حول الحدود والتحاليف والسلطة، فالحدود تمللي الأءوار والقواعد والأنماط التفاعلية للأسرة، والتحاليفات تظهر مدى دعم أو عدم دعم فرد من الأسرة لشخص آخر، والسلطة ليست ثابتة أو مطلقة ويمكن أن تعتمد على كل عضو ووضع.

والتحاليفات في العلاج الآسري البنائي هي تحاليفات مختلفة بين اثنين على الأقل من أفراد الأسرة ضد عضو آخر، والتحاليف المستقر هو اتحاد ثابت وغير مرن على سبيل المثال بين الأم وابنتها التي تصبح جزءا مهيمنا في أداء الأسرة اليومي.

ولتطبيق مفهوم التحالف عند إجراء جلسة العلاج للزواجي أو الآسري سيقوم المعالج:

(1) بالتعرف على التحالف في الأنماط التفاعلية في الأسرة.

(2) توجيه انتباه الزوجين أو الأسرة إلى التحالف.

(3) مناقشة تأثير التحالف على الأداء العام للأسرة.

المثلث هو نوع معين من التحالف يجمع فيه اثنان من أفراد الأسرة قواهما ضد شخص آخر، وعلى الرغم من أن المثلثات داخل النسق الفرعي يمكن أن تكون حميدة نسبياً وغالباً ما يتم التعامل معها بسهولة إلا أنها يمكن أن تكون مشكلة خاصة عندما تكون موجودة عبر الأجيال. فالتحاليف عبر الأجيال هو نوع معين من المثلث الذي يتحاليف فيه اثنان من أفراد الأسرة من مختلف الأجيال ضد عضو ثالث.

النمو الطبيعي للأسرة:

يرى مينوشين (1974) أنه لا يوجد بناء آسري واحد يدل على الصحة النفسية للأسرة، ومع ذلك فإن من أهم مظاهر الأداء الوظيفي هي قدرة الأسرة على تغيير بنيتها لتلبية متطلبات مختلف مراحل الحياة أو الأزمات الآسرية. ويعد التغيير والتحويلات والمشاكل جزءاً أساسيا من الحياة، وغالباً ما يتطلب تعامل الأسرة معها إجراء تحولات تنظيمية، وهذا صحي للنمو عبر دورة الحياة، وكل أسرة لديها بناء خاص بها لكن يمكننا أن نستنبط بعض الافتراضات العامة. وتتمثل المهمة الأساسية للزوجين المتزوجين حديثاً في تطوير الحدود الخارجية والداخلية التي تحددهما كنسق زواجي، في البداية سيحاول كل منهما تشكيل النسق الزوجي وفقاً للقواعد التي تعلمها في أسرته الأصلية.

تؤدي ولادة الأطفال إلى تطوير تسلسل هرمي للآباء والأمهات ونظام فرعي للآباء، ونظام فرعي للأخوة وتحتاج الأسرة إلى فتح حدود نظام الزوجين ليشمل أطفالهم حديثي الولادة، وإن الفشل في تلبية احتياجات أطفالهم يمكن أن يؤدي إلى مشاكل تنموية خطيرة لأبنائهم.

النظرية البنائية والنسق المدرسي:

الحدود وفق النظرية البنائية: إن المتغير الخاص بالاقتراب والابتعاد قد عرف من زاوية الحدود أو القواعد التي من شأنها أن تحدد من الذي يشارك في النسق، وكيف يشارك. وإذا كان النسق يؤدي وظائفه جيداً فإن الحدود توصف بأنها واضحة، فمثلاً في المدرسة يكون المثل الجيد على الحدود الواضحة هو أن المدرس يكون مسئولاً عن تقييم وإدارة نشاط الطالب في الفصل الدراسي، ويكون الأخصائي النفسي في المدرسة مسئولاً عن تقييم الطالب ومقابلة الأسر بناء على طلب المعلمين. والدلائل على شبه النفاذية في الحدود هي أن الأخصائي النفسي يمكن أن يلاحظ الطالب داخل حجرة الدراسة، وأن يسأل عن التغذية المرتدة عندما يناقش سلوكاً معيناً عند الطالب. المعلم على سلوك الطالب أو أن المعلم قد يتقابل مع الأسرة والأخصائي النفسي. وتفترض أن العاملين في المدرسة سواء من المعلمين أو من الأخصائيين مدرّبين بشكل مناسب، وإذا كان النسق يؤدي وظائفه بشكل جيد فإن المعلم سيهتم لحضور الأخصائي النفسي في الفصل الدراسي، وسيقدر الأخصائي النفسي المعلم حضوره في اللقاءات مع الأسرة لأن الاثنين سوف يشعران كما لو كان كل منهما يتصل بمصادر الآخر لصالح الطالب. وإذا كان المعلم والأخصائي يتصلان بشكل آمن وصحيح ويحترم كل منهما مطالب الآخر وإسهاماته وطبيعة عمله فإن هذا العمل المشترك يصب في صالح الناتج العام، وتكون الحدود في هذه النسق محددة بوضوح.

أنساق المدرسة :

يمكن أن يلاحظ التباعد أيضاً في العديد من البيئات المدرسية. وإذا ما وجد تألف قليل بين التدريس والإرشاد والإدارة، فربما كان ذلك علامة على التباعد داخل النسق.

الأسئلة التي ربما يسترشد بها لتشخيص تشابكية الأسرة قد تضمن:

هل أفراد الأسرة يقاطع بعضهم بعضاً، أو يتكلم كل منهم دفاعاً عن الآخر؟ إذا ما عبر أحد أفراد الأسرة عن عدم موافقته هل يتم تجاهله أمال محاولات تبذل الاستمالة لوجهة نظر الأسرة؟

وإذا ما لاحظ العاملون في المدرسة علامات على بعض مظاهر في الأسرة عند أحد الطلاب فإن احتياطات ينبغي أن تتخذ لأن هذا النسق على عكس النسق المتباعد لديه استعداد لردود فعل انفعالية عالية. فإذا ما أرسلت ملحوظة من المدرسة إلى الأسرة المتشابكة عن سلوك الطالب فإنه قد يعتبر مكالمات تليفونية مزعجة، أو إلى زيارة سريعة من الوالدين إلى المدرسة. وأي نقد يوجه إلى فرد من أفراد الأسرة بمن فيهم الطالب في المدرسة فإنه يدرك باعتباره إهانة شخصية موجهة إلى كل أفراد الأسرة الآخرين. وقد يستدعي ذلك استجابة دفاعية من جانب الأسرة.

وفي التفاعل مع الأسرة المتشابكة تكون القاعدة هي التعبير الذي يهدف إلى التخفيف من وطأة التأثير بدلا من إثارة رد الفعل.

أما خطوات مواجهة التشابك في النسق المدرسي فتتمثل في توضيح الوظائف والأهداف لكل عضو من العاملين، وتأسيس برنامج مكثف لابتكار الأفكار ولإنجاز الأهداف، والتركيز على الحلول التي تقلل من المعارضة وليس الحلول التي تتطلب الموافقة الكاملة من كل العاملين بالهيئة.

متصل الحدود يمتد بين التباعد disengaged والتشابك enmeshed يمكن عادة أن تتميز الأسر والأنساق من حيث أداء الوظائف. وقد استخدمت هذه المصطلحات لتصف المناخ الانفعالي العام للنسق ووقوع الأسرة على أحد طرفي المتصل التباعد - التشابك يدل على سوء الأداء الوظيفي. وعلى أية حال ففي معظم الأسر هناك أمثلة لكل من الحدود المتباعدة والحدود المتشابكة. فالنمط العلائقي متشابك بين الأم والأطفال قد يترك الوالد ويشعر أنه مستبعد، وربما يصبح متباعدة في استجابته. وفي المقابل فإن الوالد الذي يندمج اندماجاً زائداً في عمله ويستبعد أسرته ربما يزيد اندماج الأم في واجباتها الوالدية لتواجه وحدتها.

إذا استطاع فريق العمل في المدرسة الاستفادة من المعلومات المتعلقة بالأسلوب الأسري الكلي في إدارة الحدود لأن معرفة حدود الأسرة أمر مهم في فهم بعض الجوانب في سلوك الأطفال كردة الفعل الانفعالية، ودرجة الحاجة إلى لفت الانتباه، والاستجابات الوالدية عند محاولة تحديد المشكلات التلميذ. وعلى ذلك فإن فتح الباب للتواصل أو الاتصال مع أسرة متشابكة يتطلب أخذ انفعالية الأسرة في الاعتبار.

وقد تبدأ الرسالة التي يمكن أن ترسلها المدرسة إلى أسرة متشابكة كالآتي: ولأنني أعرف إلى أي مدى تحب ابنتك وتهتم بها فإنني أطلب منك ونفس الطلب إذا ما أرسل إلى أسرة متباعدة فقد يبدأ كالأتي: على الرغم من أنني أعرف إنك مشغول جداً فإنني أطلب منك أن إن قدرة أن.

العلاج الأسري النسقي البنائي لفهم الدينامية الأسرية المرتبطة بالتلميذ:

الفكرة الأساسية أنّ المشاكل النفسية أو السلوكية عند التلميذ ليست مجرد مشكل فردي، بل انعكاس لخلل في البنية الأسرية مثل: حدود غير واضحة، تحالفات، أو اختلال السلطة داخل العائلة) .

ويشتمل مبادئ أساسية:

- البنية الأسرية: تنظيم العلاقات داخل الأسرة (من يسيطر؟ من يعتني بمن؟).
- الأنظمة الفرعية: مثل نظام الوالدين، نظام الإخوة، نظام الزوجين.
- الحدود: (Boundaries) قد تكون صارمة جداً (انعزال) أو ضعيفة جداً (تشابك).
- التحالفات والانحرافات: مثل تحالف الأم مع الابن ضد الأب.
- التسلسل الهرمي: (Hierarchy) من يتخذ القرارات؟ هل الوالدون أم الأطفال؟

ومن أجل فهم الدينامية الأسرية المرتبطة بالتلميذ: قد يصبح التلميذ المؤشر العرضي، يظهر أعراضاً (عدوانية، قلق، فشل دراسي) لكن أصل المشكلة هو خلل في البنية الأسرية.

مثال: إذا كانت الحدود ضعيفة بين الأم والابن. فالابن يتدخل في شؤون الكبار، مما يؤدي إلى مشاكل في الانضباط داخل القسم. إذا كان الأب غائباً عن سلطة القرار. فيتحمل الابن أدواراً تفوق عمره، فيظهر قلق أو سلوكيات احتجاجية في المدرسة.

❖ المدرسة السياقية

الأخلاق العلائقية: العلاج السياقي توزورميني ناجي تأثر بشدة بنظرية التعلق بالموضوع Fairbairn (1952)، والفلسفة الوجودية والعلاقات المتبادلة في العلاج النفسي لسوليفان، وقد أضاف بوزورميني ناجي إليه منظوراً أخلاقياً يتمثل في الثقة، والولاء، والامتثال عبر الأجيال، والحقوق، وكذلك العدالة في العلاقات بين أفراد الأسرة.

يعتقد Boszormeny Nagy بأن الأعباء التي تتحملها أسر اليوم معقدة، وأن الصورة الكاملة لأدائها يجب أن تتجاوز التقدير البسيط للتسلسلات التفاعلية التي تحدث بين الأعضاء، وأن ما يتطلب الانتباه أيضاً هو تأثير كل من القضايا داخل الأجيال وبين الأجيال على الأسر، وخاصة الشعور الشخصي لكل عضو بالمطالب والحقوق والالتزامات المتعلقة ببعضهم البعض، ولكي يعمل أفراد الأسرة بفعالية يجب أن يتحملوا المسؤولية الأخلاقية عن سلوكهم مع بعضهم البعض ويجب أن يتعلموا الموازنة بين الاستحقاق ما يستحقه الفرد أو قد أصبح يستحقه والمديونية، ويوفر هذا التوازن الأساس أو السياق العلائقي لجميع العلاقات الأسرية.

تتناول الأخلاق العلائقية التوازن بين ما يقدمه الناس في علاقاتهم، على عكس ما يستحقونه أو لديهم الحق في الحصول عليه من الآخرين، ونظراً لأن التوازن في التفاعل العلائقي بين الأفراد يقوم على

"الأخذ والعطاء" ، تتطلب الأخلاقيات العلائقية منهم تحمل المسؤولية عن الإجراءات، ويسعى الأفراد لتحقيق توازن الإنصاف بين ما يجب على كل عضو أن يقدمه ويحق له الحصول عليه، وهذه الأنماط والتوازنات في البعد الأخلاقي للعلاقات وتساعد في تمرير الأنماط والتوازنات والجدارة بالثقة من جيل إلى جيل وتكون بمثابة مفاتيح لفهم الأداء الفردي والأسري.

تعتبر ناجي الأخلاق العلائقية الأكثر قوة وتأثيراً في تشكيل العلاقات، وتظهر الأعراض Symptoms عند حدوث اختلالات علائقية وانتهاكات الجدارة بالثقة. وتشتمل الأخلاق العلائقية على كل من علم النفس الفردي ما يظهر داخل الشخص وخصائص الأنماط الأدوار والطاقة وتسلسل الاتصالات داخل الأسرة، في النسق الزوجي مثلاً لا بد من تحقيق التناسق بين العطاء والأخذ وموازنة الحقوق والمسؤوليات، بالنسبة للمعالجين السياقيين فإن أنماط الارتباط داخل الأسرة التي تنتقل من جيل إلى جيل هي مفاتيح لفهم أداء الفرد وكذلك أداء الأسرة، وأن الثقة هي الخاصية الأساسية للعلاقات، ويمكن استنفادها أو استعادتها اعتماداً على قدرة أفراد الأسرة على التصرف على أساس الولاء والمديونية فيما يتعلق بالعطاء والمشاركة مع بعضهم البعض، وبدلاً من التركيز على السلوك العرضي أو أمراض الأسرة، يهتم المعالج السياقي بالموارد العلائقية كوسيلة للتغيير، ويُنظر إلى العلاقات على أنها جديرة بالثقة إلى الحد الذي تسمح فيه بالحوار بين أفراد الأسرة فيما يتعلق بقضايا المطالبات الصحيحة والالتزامات المتبادلة.

في البداية قام ناجي وسبارك، بتطوير نظرية تقوم على الولاء غير المرئي داخل الأسرة، حيث يتحمل الأطفال دون وعي مسؤوليات مساعدة آبائهم على حسابهم الخاص. والسجل العائلي والميراث والديون وحقوق الأسرة. فالسلوك الأبوي العادل والمنصف يولد الولاء عند الأطفال، وقد تؤدي المطالب غير العادلة أو الإحساس المبالغ فيه بالالتزام إلى ولاء غير مرئي يستمر فيه الطفل دون وعي إلى ما لا نهاية في سداد دين للوالدين، وغالباً ما يكون ذلك مضراً به لأنه يأخذ الولاء كأولوية قبل كل الأولويات الأخرى، بالمعنى المجازي كل شخص لديه حسابات غير مستقرة .

الأهداف العلاجية

يركز العلاج السياقي بشكل عام على فئتين كبيرتين من الأعراض: الأعراض الفردية والأعراض الناتجة عن مشاكل في التعبير عن ولاءات الأسرة والمرتبة على الاستحقاق المدمر. كنهج تكاملي، فإنه يشجع أيضاً على تقييم متعدد الأبعاد للحالات السريرية والمشاكل العلائقية.

يسعى الأفراد إلى فهم ما ورثوه من عائلاتهم (قيم، مواقف، أو أنماط سلوك)، فهم لا يرفضون والديهم، بل يحاولون تصحيح الإرث العائلي لحماية الأجيال القادمة من تكرار الأخطاء. والهدف الأساسي هو تمكين الأجيال المقبلة من فرص أفضل للحياة والعدالة، من خلال التعامل الواعي مع الماضي العائلي.

مفهوم الاستحقاق البناء: الأشخاص الذين يسعون للتوازن والإنصاف بين الأخذ والعطاء داخل الأسرة يحققون استحقاقاً بناءً، أي شعوراً إيجابياً نابغاً من السلوك العادل والمسؤول.

مفهوم الاستحقاق المدمر: في المقابل، قد يشعر بعض الأفراد بأنهم مظلومون أو محرومون، فيتصرفون بطريقة انتقامية أو سلبية تجاه الآخرين — وهو ما يسمى الاستحقاق المدمر.

يشجع المعالجون السياقيون الحوار بين أفراد العائلة، حيث يمكن لكل فرد التعبير عن مطالبه وتوقعاته، مما يفتح المجال لفهم متبادل وتوازن في العلاقات. من خلال الحوار

العلاقة الأخلاقية:

إن العلاج الأسري النسقي السياقي هو مقارنة علاجية تدمج بين المنظور النسقي الذي يرى الأسرة كنسق مترابط، والمنظور السياقي الذي يؤكد على العدالة والولاء والتوازن بين الأجيال. هذا التكامل يسمح بفهم السلوكيات المدرسية للتلميذ ليس كحالة فردية معزولة، بل كنتيجة لعلاقات عائلية وديناميات نسقية محكومة بالتاريخ الأسري والالتزامات المتبادلة.

ومن المبادئ الأساسية:

- النسق الأسري كمنظومة: التلميذ يتأثر بعلاقاته مع الأب، الأم، الإخوة، والأقران، ولا يمكن فصل الصعوبات الدراسية أو السلوكية عن هذا السياق.
- السياق العائلي والعدالة: المشكل يظهر عندما يُختل التوازن بين "الأخذ والعطاء" أو عندما يُحمّل التلميذ أعباءً لا تتناسب مع عمره (مثلاً: أن يصبح وسيطاً في نزاع الوالدين).
- الولاء والديون الخفية: قد يعاني التلميذ من ولاءات متعارضة (ولاء للأب ضد الأم أو العكس)، مما ينعكس في شكل قلق، اضطراب، أو ضعف تركيز في القسم.
- التاريخ العائلي: الصعوبات الحالية قد تكون استمراراً لصراعات أو أنماط تكررت عبر الأجيال.

الدينامية الأسرية المرتبطة بالتلميذ:

- التلميذ كمؤشر عرضي: يظهر الأعراض (رفض المدرسة، عدوانية، قلق) ويعكس خلافاً نسقياً أسرياً.
- التفاعل الأسري: كيف يرد الأب والأم على صعوبات الابن؟ هل يستعملان العقاب المفرط؟ هل هناك انقسام في مواقفهما؟
- العلاقة بالمدرسة: الصعوبات الأسرية تؤثر على علاقة التلميذ بالمعلمين وزملائه، مما يؤثر على عملية التعلم.